

مقال: غاية التربية عند ابن حزم الأندلسي

المصدر: مجلة الهلال

بقلم: عبد الحلیم عویس

رقم العدد: 11

تاریخ الإصدار: 1 نوفمبر 1979

إعداد: موقع الشيخ عبد الحق التركماني

<https://www.turkmani.com>



مراجعات في التاريخ الحضاري

غاية التربية عند ابن حزم الأندلسي

« ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ »

د. عبد الحليم عويس •

الى كسب المال والتعب فيه بهسذه
النية ، غناء وقيلال ، وفاعله قد جمع
عيبين عظيمين : أحدهما انه تركأخصر
الطرق الى مطلوبه ، وأسهلها في
التوصل الى غرضه ، وركب أمرها
مسلكا وأطولها تعباً وأقلها فائدة ...
والوجه الثاني انه استعمل الفضيلة
التامة والتي بان بها عن الحشرات
والبهائم ، في اقتناء حجارة لا يدري
متى تنمعه أو يدعها .
« وأما العلم الذي ليس فيه الاصححة
الجسم فقط ، فان التعب فيه بدنه ،
المجهود لنفسه في تلقيه وتقسيد ، لا
يحصل من تمامه لديه الا على البصر
في معاناة مرض لا يدري أينم له غرضه
من برئه ثم لا يتم .. » وهو
يقصد بهذا ، أولئك الذين قصرُوا
حياتهم على الاشتغال بأمور الطب ولم
يجاوزوها الى غيرها من العلوم .
فهذان الاتجاهان في غايات المعرفة

قدم ابن حزم نظرية تربوية
متكاملة بناها على أسس
واضحة ، ورتب على
اساسها لكل مرحلة من مراحل النمو
الجسمي والعقلي - قنونا ملائما من
المعرفة ..
ونظرية ابن حزم في التربية ، تقوم
على أساس التصور الاسلامي الشامل،
الذي يرى « ان مدة المقام في هذه
الدار انما هي ايام قلل ، واجهاد
المرء نفسه فيما لا ينتفع به الا في هذه
الدار من العلوم ، سعى خاسر »
ويحلل ابن حزم ذلك تحليلا ، قد
يختلف الرأي فيه ، ولكننا نحس كانه
تحليل عصري نعيشه ونلمسه ، فهو
يقول : « ان اكتساب المال بغير العلم
اجدى واشد توصيلا الى المرء من
التوسع في العلم لكسب المال ، كصحة
الحكام وعمارة الأرض والتقلب في التجارات
... فالشغل بطلب العلم ليكون سببا
٤٠



ابن حزم الاندلسي صاحب النظرية التربوية المتكاملة التي طرأ اساس اسلامي شامل

مرفوضان عند ابن حزم . . . هي ان يحفظ القرآن ، لانه يجمع بذلك وجوها كثيرة عظيمة كالندوب في القراءة ولتربن اللسان على التلاوة ، والتخلق بالاخلاق الحميدة التي يقرؤها فيه

ويعمد ان ينتهي ابن حزم من بسط رأيه في تعليم الاطفال ، يقدم لنا نظريته في تصنيف العلوم الواجب تعلمها ، مبتدئا بالأهم ، ومقدرا لكل علم حجبا معيننا ، تنصح فيه رؤية ابن حزم الظاهرية للأشياء، والبعد عن الترف الذهني الموجود بخاصة في كتب النحو والفقه .

والعلم الاول في هذه المرحلة - عند ابن حزم - هو علم النحو واللفظة ، وتجزأ فيهما ، لقبير المتخصص ، بعض الكتب الاساسية كتسابي الواضح ومختصر العين للزبيدي ، والموجز لابن السراج ، والقريب لابن عبيد « واما التعقيد في علم النحو

يرى ابن حزم ان وسائل تحصيل العلوم ثلاث : السماع ، والكتاب ، والقراءة . . . ولا سبيل لادونها لشيء من العلوم البتة .

وعند بلوغ الصبي سن الخامسة او نحوها - وهي السن التي يراها ابن حزم ملائمة لبده التعلم - يجب تسليم الصبي الى مؤدب ليعلمه « الخط » و « تأليف الكلمات من الحروف . » وعلى المؤدب - في هذه المرحلة - مراعاة ان يعلم الصبي « الخط » بحيث يكون قائم الحروف ، بينا ، صحيح التأليف الذي هو الهجاء .

فان الخط ان لم يكن هكذا ، لم يقرأ الا بتعب شديد . وخذ تعلم القراءة ان يمهز الصبي في قراءة كل كتاب يخرج من يده بلفته التي يخاطب بها قومه . والخطوة الثانية في تعليم الصبي

مهي الهمى والاعظم سمعه .
هذا هو تصنيف ابن حزم للعلوم .
ومن الملاحظ أنه ينتهى بعلوم الدين ،
على عكس ما يراه الكثيرون من البدء
بعلوم الدين ..

وهو يرى أن الذى تختلف فيه
الامم من هذه العلوم ثلاثة : علم
الشريعة ، وعلم الاخبار ، وعلم اللغة
... أما بقية العلوم فهى علوم
مشتركة .

كما أن ابن حزم لا يميل الى التخصص
الشديد ، بل يرى ضرورة الاخذ من
كل علم بطرف ، فان سماع الانسان
قوما يتحدثون وهو لا يدري ما يقولون
شعة عظيمة ...



**والحق أن ابن حزم قد جمع بين
عمومية الثقافة والتخصص الدقيق في
اطار متناسق رائد ، وذلك في جملة
محددة يقول فيها : « ومن اقتصر على
علم واحد لم يطالع غيره ، اوشك أن
يكون ضحكة ، وكان ما خلفي عليه من
علمه الذى اقتصر عليه اكثر مما أدرك
منه لتعلق العلوم بعضها ببعض .. ومن
طلب الاحتواء على كل علم اوشك
أن ينقطع وينحصر ولا يحصل على
شيء » .**

● العلوم العملية ●

يرى ابن حزم أنه منذ التحقيق
وصحة النظر ثبت أن « كل ما علم
فهو علم » فالتجارة ، والخياطة ،
والحياكة ، وتدبير السفن ، وفلاحة
الأرض ، وتدبير الشجر ومعالجتها ،
وغرسها ، والبناء - كل هذه علوم
نافعة ...

لكن ابن حزم يقدم على هذه العلوم
- العلوم النظرية السابقة ، إذ أن
هذه علوم يحتاج اليها الناس في
معاشهم ، أما الأخرى فغرضها التوصل
الى الخلاص فى المعاد فقط .

لكن ابن حزم مع ذلك لا يدم هذه
العلوم - كما فعل بعض العلماء - بل
انه ليعتبر ذلك دليل نقص ، وقولاً غير
معرفة .

ففضول لا منفعة به - بن هي مشغول
الأوكد ومتقطعة دون الأوجب الأهم ،
وانما هي تكاذيب - فما وجه الشغل
بها هذه صفة أ »

**والعلم الثانى - الشعر الذى فيه
الحكم والخير ، ك شعر حسان بن ثابت
وكعب بن مالك ، وصالح بن مسعد
القدوس - « والاكثر من الشعر
كسب غير محمود ، لانه من طريق
الباطل والفضول لا من طريق الحق
والفضائل »**

والعلم الثالث - الحساب :
« فليحكم الضرب والقسمة والجمع
والطرح وليأخذ طرفاً من المساحة ،
وليشرح على « الأرقامطيقى » ، وهو
علم طبيعة العدد » .

والعلم الرابع - الفلك : فيه يتوصل
الى معرفة نسبة الأرض ومساحتها
وتركيب الافلاك ودورانها ومراكزها
وابعادها . ويحسن في هذا العلم عند
ابن حزم - مطالعة كتاب المجسطى حتى
يعرف التعلّم الكسوفات وعروض
البلاد واطوالها ، والاورقات الخ .

.. وطلب علم الفلك لا يعنى الاشتغال
بأحكام النجوم « فانه لا معنى له » .
والعلم الخامس - المنطق .. ليعرف
المراء ما البرهان وما الشغب العقلى ،
وكيف التحفظ مما يظن أنه برهان
وليس برهان .

والعلم السادس : الطبيعيات ،
وموارض الجو ، وتركيب العناصر .
والعلم السابع : كتب التشريح
ليقف على تاليف الأعضاء وحكمة الله .

والعلم الثامن : كتب التاريخ
القديم والحديثة ، ليقف على فناء
الممالك والبلاد ودثور المدائن - وعلى
حمد المنتقمين ، وذم أهل الرذائل .

والعلم التاسع : الفلسفة ، لانها
تحتاج الى توضيح عقلى ، والى رصيد
كبير من المعارف . ليعرف ما خرج
الى هذا العالم وما اليه يرجع .

والعلم العاشر : مقارنة الأدبان
لمرنة صحة الإسلام على سائر الأدبان .
والعلم الحادى عشر : الشريعة ..

اصناف تربوية اخرى

يرى ابن حزم أن « التعليم اجباري » ، ليس الى مرحلة « محو الأمية » في القراءة والكتابة فقط ، بل الى مرحلة أعلى من ذلك . وهذه المرحلة الإلزامية - لا يسع احدا من الناس الاغلات منها : الأحرار والعبيد والامراء . وهي تفرض بقوة القانون ، فالامام يجبر أزواج النساء وسادات الارقاء على تعليمهم ما ذكرنا - اما بانفسهم واما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهم . وفرض عليه - أيضا - أن يأخذ الناس بذلك ، وأن يرتب القواما لتعليم الجهال .

وفي هذه المرحلة يجب تعليم الطهارة والصلاة والصيام بفرائضها وكيفية ادائها ، وتعليم ما يحل وما يحرم من المأكل والمشرب والملابس والفسروج والدماء والأقوال والأعمال . وترتبط بهذه المرحلة ، وتأتي بعدها في الوقت نفسه ، مرحلة تعليمية أخرى اقرب الى التخصص العملي في أنشطة الحياة المتباينة :

« ثم فرض على كل ذي مال تعلم حكم ما يلزمه من الزكاة ، وسواء الزوجات والنساء والعبيد والأحرار ، فمن لم يكن له مال أصلا ، فليس تعلم أحكام الزكاة عليه فرضا . ثم لم يزمه فرض الحج ففرض عليه تعلم أعمال الحج والعمرة ، ولا يلزم ذلك من لاصحة لجسه ولا مال له . ثم فرض على قواد العساكر معرفة السيف وأحكام الجهاد وقسم الغنائم والغزء ثم فرض على الأمراء والقضاة تعلم الأحكام والائضية والحدود ، وليس ذلك فرضا على غيرهم . ثم فرض على التجار وكل من يبيع غلته تعلم أحكام البيوع وما يحل منها وما يحرم .

« ثم فرض على كل جماعة مجتمعمة في قرية أو مدينة أو دسكرة أو حلة أمراء أو حصن - أن يتوب منهم لطلب جميع أحكام الديانة أولها من آخرها » .

ونحن نرى فيما ذكره ابن حزم منطلقا عمليا ، وتوجيها للعلم في خدمة المجتمع ، وإيمانا بأن من الصعب التوصل الى كل العلوم ، فصح ضرورة الأخذ من كل فن بطرف لا بد من دقة في معرفة التخصص ..

وهذا الجمع في التربية بين ارضية ثقافية واسعة ، وتخصص دقيق وتوجيه للعلم في خدمة المجتمع ، وفقا لاحتياجاته - هو الرأي الذي انتهت اليه المدارس التربوية في العصر الحديث ، وسبق اليه ابن حزم منذ أكثر من تسعة قرون .

ويرفض ابن حزم ذلك التصور الخاطيء الذي يسيطر في مصور التخلف الفكري ، وهو ما ذهب اليه نفر من أهل العلم الدين من ازدراد سائر العلوم ، فهذا نقص عظيم شديد لا ينتفع به صاحبه ، إذ أن هذه العلوم الدنيوية خادمة ومنتصلة اتصالا قويا بعلوم الدين . كما نصل ذلك ابن حزم .

كما يرفض ابن حزم ما ذهب اليه الذين طلبوا علوم المسرب فازدروا سائر العلوم ، إذ أن هؤلاء بمنزلة من ليس في يده من الطعام إلا الملح ، وليس معه من السلاح إلا المصقلة ، فهو لا يظن أنه ليس هناك أفضل منهما .

ان اتجاهات ابن حزم التربوية، هي واحدة من الاتجاهات المبكرة في ترائنا .. قد عرفها ابن خلدون كما عرفها قبله أبو بكر بن العربي وأبو حامد الغزالي . وقد مثلت آراؤه تلك تمهينا قويا لآرائهم ..

وإذا كان هؤلاء جميعا لم يقرأوا بفضل ابن حزم ، فإن ترائهم ليدلنا بطريقة غير مباشرة على أن ابن حزم كان ذا تأثير بنظريته التربوية

فيمسا ورد اليها من آرائهم وتصوراتهم .